العولمة والهيمنة الأمريكية

د.حسين فريجة*

الملخص

العولمة والدول العربية :

لكي تخرج الدول العربية من أزمة العولمة يجب أن يسود التفاهم بينها، وأن يسود الوئام والسلام بين شعوبها، وهذا يكمن بتطبيق العدالة الاجتماعية عن طريق الديمقراطية في اختيار النواب للبرلمان وتنمية التعليم بجميع فروعه التكنولوجية وتطويرها للإسهام في ركب التقدم: فعلى سبيل المثال يمكن أن نعتد بالهندسة الجينية والتكنولوجية الحيوية المطبقة على الطب العقلي والأمراض النباتية وعلى الأنواع والأجناس الجديدة تفتح أفاقا أمام تكثيف الفلاحة والتجارة والتربية الحيوانية على أوسع نطاق، كما اقترح «كامديسي» ضرورة أن يتبع التزام المجتمع الدولي مجددا بالتعددية، إسقاط جميع الرسوم الجمركية على صادرات الدول الأقل نموا وخفض ديونها، باعتبار أن ذلك هو أفضل سبيل لاجتذاب الدول الأكثر فقرا لتأييد مفهوم العولمة.

ومن المفروض أن الدول العربية تمتلك مبادئ الدين الإسلامي الذي أجرت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية دراسة عنه وميزته عن الرأسمالية والشيوعية: « إن التعاليم الإسلامية تختلف عن الرأسمالية لمعارضتها تراكم الثروات الفاحش، وتختلف عن الاشتراكية لأنها تحافظ على حقوق التملك لوسائل الإنتاج، ففي مجتمع حقيقي يتبع تعاليم الإسلام يجب ألا تتعارض

مصالح طبقات المجتمع، بل يجب أن تتعايش بالتواصل والتراحم عبر المشاركة المسؤولة الواعية، كما يجب مراعاة حقوق الفرد ولكن بطريقة عادلة تتوازن مع مصلحة المجتمع بأكمله» غير أن تعطيل باب الاجتهاد منذ قديم الزمان كان تعطيلا للعقل ودوره، أدى إلى اتساع الهوة بين مبادئ الفكر الإسلامي ووسائل العصر اللازمة لتطبيقه، كما أن الاستعمار الذي عانت منه الدول العربية جعلها تخضع لدول لا تؤمن بمبادئ الأخلاق بل تغلب المصالح» وقد تم وضع الخطط المفصلة للتدخل الأمريكي في الشرق الأوسط وأتبعت خلال عام 1980 بمبدأ «كارتر» الذي نص صراحة على اعتبار الولايات المتحدة النفط مادة حيوية ضرورية لأمن الولايات المتحدة. وأنها ستستعمل الوسائل والطرق كافة بما في ذلك القوة العسكرية لضمان حرية الوصول إليه وضمان الأسعار التي تناسبها. كما أن سعر النفط هو أيضا من عناصر الأمن القومي الأمريكي، وللوصول إلى تحقيق هذه الأهداف المخطط لها منذ فترة تم إنشاء ما يسمى «بقوات التحالف» بقيادة أمريكا وبريطانيا للاستيلاء على آبار النفط في العراق بتاريخ 2003/03/19 باستخدام طائرات B52 وطائرات الشبح التي لا يمكن اكتشافها بالرادار وأنواع الأسلحة المتطورة التي توصل إليها التطور التكنولوجي الحديث الذي تملكه قوة تدمر كل من يقف حول مصالحها وتتدخل بحجة واهية نزع أسلحة دمار شامل غير موجودة أصلا وهكذا يبقى تضامن الدول الغربية مع دول عربية مجرد رياء، وإن الحرب التي بدأت في العراق هي حرب لن تنتهي، فمشكلة العراق ليست مشكلة صدام حسين باعتبار أن صدام قد أزيح هو ونظامه عن

الحكم، إن استهداف الدول العربية هو من أجل قيام مبدأ الاستسلام للغرب، وإن كان الاستسلام بدأ منذ مدة ليست بالقصيرة إنهم يريدون للعرب الانتشار، وإن احتلال العراق هو من نتائج العولمة، عولمة القهر للشعوب العربية.

أود أن أشير أن العراق وحده واجه قوة عسكرية وإعلامية ونفسية قامت بها أكبر قوتين تعرفهما المعمورة كما أنه واجه الخيانة من طرف أشقائه وأبنائه في الداخل، وأن صمود العراق في حربه معجزة لم تشهدها الإنسانية وخاصة وأن الطلعات التي قام بها طيران التحالف زادت عن 350 ألف طلعة خلال 20 يوما قذف خلالها أرض العراق بمئات آلاف الأطنان من المتفجرات، إنها كارثة على مرأى من البشرية والدول العربية، إنها حرب العولمة حرب قضت على ما يسمى بأسطورة الشرعية الدولية.

إن النظام العالمي الجديد سيعرف هزات كبيرة، وإن الأمم المتحدة قد فقدت مشروعيتها ومصداقيتها والتزامها. أما الجامعة العربية قد برهنت على شهادة وفاتها لأن وجودها كان مرتبط بإرادة من خطط لها من الغرب وبالتالي فإن مهمتها انتهت ويجب دفنها لكي لا يسمع صوتها.

وتظهر هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على مجلس الأمن والتدخل المعيب في شؤون الدول بالقوة كما حدث في العراق، وأصبح من آثار العولمة مجلس الأمن آلة مطيعة في يد أمريكا بموجبه تتدخل في إصدار القرارات باسم الشرعية الدولية تارة لحصار الشعوب مثل الشعب العراقي وتارة لنزع أسلحة الدمار الشامل يصدر مجلس الأمن قرار بالتفتيش على أسلحة الدمار

الشامل، تستخدمه أمريكا كذريعة لدخول العراق بالقوة واحتلاله دون الرجوع إلى مجلس الأمن.

كما أنه توجد مظاهر ثقافية تهدف إلى صياغة ثقافية عالمية الغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب وجعلها تتبع نمطا معينا يفقد هذه الشعوب هويتها وثقافتها، بل تعداه إلى طمس معالم الحضارة الإنسانية وتجريد المجتمعات من هويتها وتاريخها وآثارها وذلك عن طريق الاعتداء بالقوة على مقدرات هذه الشعوب الثقافية بالقوة ونهبها وسرقتها وتحويلها لطمس معالمها وتجريدها من مقوماتها.

غير أن هذه العولمة التي داست الأنظمة السياسية العربية، جاءت لتعيد الوعي للشعوب العربية. وسيبقى متحف بغداد ليواصل مهمته للمحافظة على تراث وممتلكات البشرية صامدا ضد العولمة والهيمنة الأمريكية.

ويتناول موضوع المداخلة المحاور التالية:

مفهوم العولمة

الفصل الأول: العولمة وأمريكا.

أولا: أمريكا السيطرة عالميا.

ثانيا: أمريكا السيطرة على الدول العربية.

ثالثا: العولمة والمسلمون بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

الفصل الثاني: : العولمة وحقوق الإنسان.

أولا: حقوق الإنسان والثورة الفرنسة لسنة 1789.

ثانيا: المواثيق الإنكليزية.

ثالثا: البيانات الأمريكية.

رابعا: من عصبة الأمم إلى هيئة الأمم.

خامسا: المجابهة بين الواقع والعولمة والإسلام.

الفصل الثالث: العولمة والبنك الدولي وصندوق النقد ومنظمة الجات العالمية.

أولا: العولمة والبنك الدولي.

ثانيا: العولمة وصندوق النقد الدولي.

ثالثا: الجات والعولمة.

الفصل الرابع: مؤتمرات العولمة والهيمنة الأمريكية.

أولا: مؤتمر سياتل.

ثانيا: العولمة ومنتدى دافوس بسويسرا لعام 2000.

ثالثا: العولمة والدول العربية.

الخاتمة .

تمهيد

مفهوم العولمة

منذ سنة 1989 شهد العالم انهيار الاتحاد السوفياتي الإيديولوجية، الاشتراكية التي كانت تدور في فلكه، وانطلقت الدراسات لفهم ماذا يجري في العالم؟ وماذا أصاب هذا العالم؟ وتوصل المختصون في دراسة النظم السياسية والإيديولوجية، أن النظم السياسية يمكنها أن تسقط أما الإيديولوجية فإنها قد تضعف وقد تتوارى ولكنها لا تسقط.[1] فالماركسية كانت تهدف إلى تحقيق أقصى درجة من درجات الحرية الإنسانية في إطار العدالة الاجتماعية، فكيف تسقط هذه القيم التي تعبر في الواقع عن أشواق الإنسانية منذ فجر التاريخ.

وقد أضحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الوحيدة مع تنامي وسائل الاتصال والتبادل الاقتصادي الحر على مجال واسع، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مكرسة نفسها على أساس أنها ستكون هي السرمد الأبدي الخالد.

ويظهر مفهوم العولمة مرتبطا بعمليات التغيير في عدة مجالات، فهي عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في عدة مجالات سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية.

كما أنه يوجد إجماع بين المراقبين للحياة الدولية على أن العمليات السياسية والأحداث في العالم لها بعد كوني متزايد وتقوم العولمة كما يرى بعض الباحثين[2] على أسس وهي:

1 ـ المنافسة بين القوى العظمى.

2 ـ الإبداع التكنولوجي.

3 ـ انتشار عولمة الإنتاج والتبادل والعصرنة.

غير أنه لا يمكن إعطاء تعريف دقيق للعولمة نظرا لتعدد تعريفاتها وانحياز الباحثين المتأثرة بأفكار أيديولوجية ومدى تقبلهم للعولمة أو رفضهم لها.

إن هذا لم يمنع من إعطاء أوصاف عامة لها، من ذلك مثلا أنها تغطي أغلب الكوكب أو أنها تشيع على مستوى العالم، باعتبار أن السياسة والأنشطة الاجتماعية والاتصالات أصبحت تبسط على أنحاء المعمورة، كما أنها تعتمد التبادل المتعامل بين الدول والمجتمعات التي تشكل المجتمع العالمي، ويقرر أحد علماء السياسة الأمريكيين(3): « إن كان يبدو مبكرا وضع تعريف كامل وجاهز يلائم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة، فعلى سبيل المثال يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الإيديولوجيا، كما تشمل إعادة تنظيم الإنتاج وتبادل الصناعات، انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع الاستهلاكية لمختلف الدول».

غير أن ما يلاحظ على هذا التعريف هو أنه طرح مشكلات متعددة تتمثل أساسا، هل هذا يرجع إلى انهيار الدولة ذات الحدود المستقلة؟ وهل العولمة تتضمن تعميق الفوارق والاختلافات؟ وهل العولمة تنطلق وتهدف إلى إقامة حدود مصنوعة؟ وهل العولمة تنطلق من خلال عوامل اقتصادية وإبداع

تقني متطور أم خلال الأزمات؟ وهل العولمة تتميز بوجود ثقافات عامة أم تهدف إلى إقامة ثقافات متنوعة محلية؟ وهل العولمة تمثل استمرار الهوة بين الفقراء والأغنياء؟ وهل العولمة تتطلب وجود حكومة عالمية؟

وما يمكننا التوصل إليه من خلال الأسئلة المطروحة والتي يمكن أن تطرح عن العولمة عبارة عن وجه يظهر كل يوم بثوب جديد. ولفهم العولمة أكبر يمكن أن نذهب كما يرى بعض الباحثين (4) إلى وضع ثلاث اعتبارات تتمثل أساسا في:

1 ــ انتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس.

2 ــ تذويب الحدود بين الدول.

3 ــ زيادة التشابه بين المجتمعات والجماعات والمؤسسات.

ويظهر أن هذه المعايير تهدف إلى سهولة حركة تنقل الناس والمعلومات والسلع بين الدول على نطاق واسع. وإن الطريقة المعتمدة إلى انتشار العولمة تتم عن طريق:

1 ــ الاتصال الإعلامي بجميع وسائله.

2 ـ نشر ثقافة الآخر بالقوة.

3 ـ المنافسة المسيطرة والقضاء على الدول.

الفصل الأول: العولمة وأمريكا.

سنتعرض في هذا الفصل إلى العولمة والسيطرة عالميا من أمريكا أولا ثم نتعرض إلى أمريكا وسيطرتها على العالم العربي ثم إلى أمريكا وأحداث 11 سبتمبر 2001 والمجابهة بين العولمة الغربية والواقع الإسلامي.

أولا: أمريكا السيطرة عالمي:

بعد الحرب العالمية الثانية سارت أمريكا تعمل على أنه لا يمكن لأي دولة أن تنظم إلى أي منظومة عالمية دون المرور بواشنطن والحصول على الموافقة الأمريكية، وليس من باب الصدفة أن تكون الأمم المتحدة في نيويورك، وأن تكون واشنطن مقر البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، كما أنه أصبح البيت الأبيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع على اتصال دائم بما يجري في السياسة العالمية.

قبل انهيار الاتحاد السوفياتي كان في العالم مركزان للقوة العالمية: أحدهما في واشنطن والآخر في موسكو، أما الآن فليس هناك إلا مركز واحد ولقد أنشأت الولايات المتحدة قوة عسكرية ضخمة لردع دول بعد تنامي مصالحها الاقتصادية في أنحاء العالم وكان عماد هذه القوة العسكرية الترسانة النووية الضخمة التي تملكها والسيطرة الجوية المطلقة والمتطورة ظهرت خاصة أثناء حرب الخليج لردع العراق ثم التدخل العسكري المباشر بعد تحطيمه عن طريق الجو والهيمنة وإخضاع أنظمة تعاونت معها لتسهيل الدخول المباشر دون خسائر تذكر.

كما أنه في أوربا يبدو أن السباق على القوة قد انتهى وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وخلال حرب الخليج 1990 عملت أمريكا على إنفاق مبالغ من أجل تطوير أسلحتها وبرز البنتاغون على أنه القوة العالمية دون منازع.

وقد برز هذا جليا خلال التدخل الأمريكي في العراق بحيث دمرته بالقوة على مرأى من أعين العالم.

وإلى جانب السيطرة العسكرية فإن الولايات المتحدة تستمر في تأدية دور مركزي وخاصة بعد السيطرة على منابع النفط في العراق، وبالتالي فإنها ستظل المسيطرة على الرغم من منافسيها الأقوياء في أنحاء العالم، فإنها مازالت الأقوى من بينهم، وخاصة بعد بسط سيطرتها على منابع الذهب في منطقة الخليج العربي ومؤسسات التجارة العالمية.

ثانيا: أمريكا السيطرة على الدول العربية:

منذ مدة وخاصة بع حرب الخليج أصبحت الدول العربية متروكة لتصريف شؤونها تحت الهيمنة الأمريكية باستثناء العراق الذي ظل يخضع لحصار اقتصادي باعتباره يشكل مصدر خطر لمنابع النفط وإسرائيل غير أنه بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أصبح هناك تركيز أمريكي واضح على منطقة الشرق الأوسط وتعالت أصوات اليمين الأمريكي المتحكم بمفاتيح القرار بواشنطن بضرورة الإسراع بإحداث تغيير شامل وجذري في المنطقة سواء في الخريطة الجيوسياسية أو في الخريطة الثقافية وذلك بإدخال منظومة تربوية تتماشى مع الأهداف الأمريكية بحجة القضاء على الإرهاب وهذا لمعظم دول

المنطقة، ولا تهدف أمريكا من خلال مخططاتها للمحافظة على مصادر النفط وأمن إسرائيل رغم أهميتها لأمريكا، فالقضية أبعد من ذلك بحيث لها بعد استراتيجي يتعلق ببناء نظام دولي جديد وفق المنظور الأمريكي (5). فأمريكا تتعامل مع منطقة الشرق الأوسط على أنها المنطقة الأكثر اضطرابا في العالم سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية، وهي الأكثر تهديدا لاستقرار النظام الدولي الجديد والأكثر تعصبا من وجهة النظر الأمريكية من توطن ثقافات معادية للمعاصرة والعولمة والحداثة الثقافية، لذا فهي بنظر الإدارة الأمريكية الأكثر خطورة من الشيوعية قبل انهيار الاتحاد السوفيتي التي حاربتها أمريكا خلال القرن العشرين.

كما أن الانتصار السريع لأمريكا في العراق أدى إلى زيادة عزيمتها على فرض رؤيتها السياسية والاقتصادية على العديد من دول المنطقة الواضحة بكل ما تملك إلى هذه الهيمنة ابتداء من العراق الحلقة التي أصبحت أضعف من الناحية السياسية.

كما أن الإدارة الأمريكية بدخول جيوشها إلى العراق أصبحت تعمل على تفويض الوضع القائم وإدخال تغييرات هيكلية على الخارطة السياسية والاقتصادية لدول المنطقة.

العراق بلد غني في ثرواته الطبيعية والبشرية، ويكفينا القول أنه ثاني بلد في العالم بعد السعودية في احتياطات البترول، وقد يتفوق عليها بعد المزيد من عمليات التنقيب، كما أن قوات التحالف عملت على حماية حقول النفط العراقية ووزارة النفط في بغداد، وقد تصل إرادات العراق من

النفط بعد سنة من أعمال الصيانة إلى حوالي 20 مليار دولار سنويا متوقفا على أسعار البترول في السوق العالمي، كما أنه لا يستبعد أن تثور حرب باردة بين الولايات المتحدة والدول الأخرى كفرنسا وألمانيا وروسيا حول امتيازات التنقيب عن النفط العراقي واستغلاله، فهناك عقود روسية حصلت عليها روسيا قبل انهيار نظام صدام حسين في العراق، ووعود حصلت عليها شركات فرنسية غير أن الإدارة الأمريكية طرحت تلك العقود جانبا وتتجه إرادتها إلى خصخصة البترول العراقي مما جعل ثروات البترول النفطية محتكرة من قبل الشركات الأمريكية. (6)

ولم تكن السيطرة واضحة للعيان في مجال النفط فقط فأجهزة التصوير في الحرب ضد العراق لا تستطيع القيام بعملها إلا في ظل رقابة العسكريين وكل من حاول الابتعاد عن الرقابة كان مصيره الموت بالقنابل الموجهة (7)أما في العربية السعودية فلم يتمكن الصحفيون من التنقل فالجيش الأمريكي وحده هو الذي يقرر. وكان الإعلام مقتصرا على التحليلات والتعليقات، فالصورة المباشرة التي تنقلها التلفزيونات سواء الجزيرة أو C.N.N، والتي يظهر فيها الجندي الأمريكي الأسطورة الفائقة والتي أصبحت فيما بعد حسب خطاب جورج بوش القوة التي لا تقهر.

لقد حارب العراق ضد أمريكا وبريطانيا ودول أخرى أين يكمن التعصب الديني ومحاربة الإرهاب الذي رفعت شعاره الإدارة الأمريكية صدام حسين إلى اعتمد خطابا دينيا لم يكن يتمسك به من قبل أما جورج

بوش الذي يدعو إلى التعصب الديني المسيحي والتمسك بالقنبلة الذرية من أجل النصر (8): «لقد انتصرنا لأن الله كان معنا؟» كما يزعم بوش.

ومن أجل أن يكون المشهد متلائما مع المشاعر الغربية كان يجب أن تبقى المذبحة في طي الكتمان فلم تعرض سوى غارات منزهة عن الخطأ والعيب إنها حرب القنابل الذكية والتكنولوجيا الحديثة.

ثالثا: العولمة والمسلمون بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

العرب والمسلمون يضربون ضربا شديدا، ويهانون بشكل غير مسبوق في أمريكا وفي أفغانستان تشن عليهم حربا، القتل في فلسطين والإهانة للمسلمين والعرب في كل مكان، لأن تدمير مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع الأمريكية قد ألصقت برجال دينهم الإسلام وجنسياتهم عربية، وفي أوربا معاملة قاسية ووسائل الإعلام هناك مرغت سمعة الإسلام والعرب وتعرضت الدول العربية بشكل أو بآخر للإذلال لأنها تحاول أحيانا التذكير بالإرهاب الإسرائيلي، ومرة لأنها تحاول تذكير العالم بأن المقاومة الفلسطينية تدافع عن حقها ومرة لأنها تحاول أن تعبر عن هروبها من ضرب العراق أو أي دولة عربية أخرى.

غير أن عالم القهر قد حل بالعرب بعد احتلال العراق وتقسيمه إلى مناطق من أجل إضعافه ونهب خيراته، إنها عولمة « القهر».

الفصل الثاني: العولمة وحقوق الإنسان:

سنحاول في هذا الفصل الرجوع إلى مصادر العولمة من خلال مواثيق وبيانات حقوق الإنسان كما جاءت في الإعلان الفرنسي لثورة 1789 ومواثيق إنجلترا والبيانات الأمريكية ونظرة الأمم المتحدة إلى هذه الحقوق العالمية ثم دراسة على المواقع، دون الرجوع إلى متاهات التاريخ ودون الرجوع إلى الحضارة الإسلامية وبالاعتماد على عولمة حقوق الإنسان التي تهدف إلى القهر والظلم والاستبداد فإنا سنحاول أن نقتصر على حقوق الإنسان التي نادى بها الغرب.

أولا: حقوق الإنسان والثورة الفرنسية لسنة 1789:

قامت الثورة الفرنسية وأقرت مبادئ لحقوق الإنسان امتد إشعاعها خارج نطاقه الجغرافي وجعل منها مبادئ عالمية وذلك منذ قيام ثورة 1789 لتشمل مبادئ فلسفية ذات شمولية.

وانطلق الإعلان الفرنسي من مفاهيم يمتلكها الفرد بسبب صفته بالذات واعتباره كائنا بشريا وعضوا في الجسد السياسي وترتكز الثورة الفرنسية على مبادئ الحرية والشرعية والمساواة.

1 ـ الحرية:

إن جميع البشر أحرار وحريتهم يجب أن لا تضر بالغير، والملكية هي شرط من حرية الفرد والملكية حق مقدس لا يمكن اغتصابه ولا يمكن لأحد أن يحرم منه إلا حين تقتضي ذلك المصلحة العامة، وشريطة تعويض عادل ومسبق، كما تشمل الحرية، حرية الرأي، والمعتقد، والفكر والصحافة (المادة 10 و 11 من الإعلان الفرنسي لعام 1789).

2 ـ الشرعية:

القانون الذي هو تعبير عن الإرادة العامة يلعب دورا هاما، ومن أجل تجنب التجاوزات فهو يضع حدودا بمثابة ضمانة لأمن المواطن، والقانون مهمته منع الأفعال الضارة بالمجتمع (المادتين 7 و8 من الإعلان الفرنسي لعام 1789).

3 ـ المساواة:

يولد الناس أحرارا ومتساوين في الحقوق، ولا يمكن للفوارق الاجتماعية أن تقوم إلاّ على أساس المصلحة المشتركة والمساواة تكون أمام العدالة والقانون والضريبة (المادتين 6 و 13 من الإعلان الفرنسي لعام 1789).

ويتضح من الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان لسنة 1789 أن به قيمة تطمح إلى تجاوز مواطني البلد ويذهب الطموح برجال الثورة الفرنسية بأن الإعلان يمثل « المبادئ الخالدة » أو« الإعلان بمثابة الإنجيل السياسي للأزمنة الحديثة». (9)

لقد تعرض إعلان 1789 لقيم مجردة وعامة وغير مرتبطة بزمن معين إنه أقام تعريفا شاملا للإنسانية، وظل الإعلان الملهم الأعظم لجميع الحركات السياسية والاجتماعية، غير أن الإعلان لحقوق الإنسان الفرنسي ما لبث أن تجاوز مهمته ووقع في الحضيض الأسفل عند تنكره لحقوق الغير في المساواة والشرعية والحرية باحتلاله للجزائر ولمجموعة من الدول الإفريقية وتحول من إشعاع عالمي إلى استعمار شمولي «إن فرنسا باحتلالها الجزائر سنة 1830 عرضت استقلال الجزائر وحرية مواطنيها إلى أبشع استعمار وبعبارة أخرى فإنها حولت مبادئ ثورتها إلى تفرقة وطبقية وامتيازا.. وحرمت حرية العمل، والفكر، والكلام، والصحافة، إن هذا العمل من طرفها أصبح وضع استغراب نظرا لفضاعة ما قدمت به وهكذا

حولت مبادئها إلى مبادئ مرتبطة بمواطنيها ولا تنطبق على الغير، وهكذا تحولت من الشمولية العالمية إلى المحلية الضيقة أنها احتوت كما يصفها «شيليان زانغ (10)على ما هو رهيب، وكأنه عاصفة اجتاحت وقلبت الأرض رأسا على عقب».

ثانيا: المواثيق الإنكليزية:

هذه المواثيق عبارة عن اتفاقيات أجراها البارونات أو المجلسان مع الملك ونظرا لحدوثها دائما في شكل انتفاضات ضد السلطة الملكية، وهي عبارة عن تنازلات تم انتزاعها بالقوة وتشمل الحريات بضمانات محددة هادفة إلى معالجة قضايا.

وعلى سبيل المثال كان يهدف ميثاق سنة 1215 إلى تخفيض الغرامات وأنها ثورة لم يقم بها الشعب الإنجليزي، وإنما النبلاء الذين كانوا يمثلون الإقطاعية بدرجاتها العليا (11) ، ثم صدرت عريضة 1628 عندما أصطدم شارلس الأول بمقاومة شديدة وبرز في هذه العريضة حقان أساسيان تركز عليهما سائر الحقوق والحريات الفردية في انجلترا وهما:الحرية الشخصية، وتحريم إنشاء ضرائب وفرضها بدون موافقة البرلمان عليها، ثم ظهرت وثيقة «الهابياس كوربوس 1679» وقد تضمن القواعد الأساسية لحماية الحرية الشخصية من تعسفات السلطة القائمة. ثم صدرت شرعة الحقوق سنة 1689 وتضمنت هذه مبادئ تمنع الملكية من التصرف تصرفا سيئا، وحرمت على الملك حق تعليق القوانين وإنشاء محاكم وفرض أية ضريبة دون موافقة

البرلمان (12) وظهرت بما يسمى بموازنة الدولة، وهذه المواثيق تعد وسائل إجرائية أكثر مما هي إعلانات حقوق لكنها سقطت بقيامها على نهب ثروات العراق حاليا واستعمار الشعوب سابقا. (13)

ثالثا: البيانات الأمريكية:

نتعرض في دراستنا هذه إلى البيانات الأمريكية ونحاول تبيانها بإيجاز باعتبار أن أمريكا أصبحت هي القوة المهيمنة والباسط نفوذها والداعية إلى العولمة، وقد صدرت تسعة بيانات خلال السنوات التي سبقت عام 1789 بيان استقلال الولايات المتحدة في سنة 1776 وبيانات ثمانية من أصل ثلاث عشر مستعمرة (14) وجاء في المادة الأولى من بيان ماساشوستس «كل البشر مولودون أحرارا ومتساوين» «وتؤكد ديباجة هذا البيان أن «الهدف من إقامة حكومة هو تأمين وجود جسد سياسي، وحمايته، وأن يحصل الأفراد الذين يشكلونه على إمكانية التمتع بالأمن مع الاطمئنان على حقوقهم الطبيعية ... والجسد السياسي مكون من رابطة ناجمة عن اختيار الأفراد، إنه عقد اجتماعي يتفق بموجبه الشعب بأسره مع كل مواطن على أن الجميع سيخضعون لبعض القوانين من أجل المصلحة المشتركة «ولقد جاءت ديباجة هذا البيان متأثرة بأفكار جون لوك (15) . ومونتكسيو (16) فيما يتعلق بالفصل بين السلطات.

كما أنه يجب النظر على أنه إثر الحرب الأهلية الأمريكية سنت قوانين تحرم على الدولة أن تقبض على أي شخص دون قانون أو تحرمه من حياته أو حريته أو ثروته دون إتباع إجراءات قانونية.

وقد جاءت نصوص البيانات الأمريكية تحمل صيغة النزعة العالمية، فبالنسبة لإنسان العالم الجديد فهو سيد مصيره، وتستند الحرية عنده إلى كرامة الجهد وقيمة النجاح وذلك بسيطرته على الطبيعة البكر للقارة الجديدة.

وتتوالى الحقوق الأساسية وخاصة بعد ظهور الشيوعية العالمية مثل حق العمل، والحق النقابي وحق المشاركة في إدارة المؤسسات.

وبعد الحرب العالمية الثانية أقيمت حقوق الإنسان على أساس اعتمادها بعد عالميا، وهي لا زالت تهدف إلى تكريس مبادئها القائمة على القهر والهيمنة.

رابعا: من عصبة الأمم إلى هيئة الأمم:

جاء إنشاء عصبة الأمم استجابة لمبادرة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، توماس ويكسون، الذي طالب سنة 1918 بإنشاء جمعية عامة للأمم من شأنها أن تأتي بضمانات متبادلة للاستقلال السياسي والإقليمي للدول الصغيرة والكبيرة على حد سواء ومن خلال تخصصها في منع حرب أهلية دولية جديدة « جمعية يجب أن تعرض عليها كل النزاعات» التي يمكن أن تؤدي إلى انتهاك السلام وتم إنشاء المحكمة الدائمة للعدالة الدولية التي كانت مهمتها الحكم في الخلافات بين الدول، غير أن عصبة الأمم فشلت عند منعها نشوب الحرب العالمية الثانية، عندما انتصرت المبادرات الشرسة لليابان وإيطاليا وألمانيا الهشة لعصبة الأمم.

وهكذا في سنة 1945 جدد الحلفاء بقيادة أمريكا بإنشاء هيئة الأمم المتحدة ومن أهداف هذه المنظمة كما هي معلنة في المادة 01 من الميثاق:

ـ الحفاظ على السلام والأمن الدوليين.

ـ تنمية العلاقات الودية بين الأمم، والقائمة على مبدأ المساواة في حقوق الشعوب وحقوقهم في تدبير أمورهم.

ـ تحقيق التعاون الدولي بحل المشاكل الدولية ذات الطابع الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الفكري، أو الإنساني، من أجل الجميع دون تفرقة.

أن تكون مركزا تتلاقى فيه جهود الأمم باتجاه هذه الغايات المشتركة وتم نشر ميثاق الأمم المتحدة على أنه: «المثل الأعلى الذي يجب أن تدركه كل الشعوب وكل الأمم».

وقد صادقت جميع الدول على الإعلان.

وتبع إعلان 1948 ميثاقان لهما قيمة ملزمة ميثاق دولي يتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وآخر يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية ويرجع تاريخ هذين الميثاقين إلى سنة 1966.

وقد تتابعت الاتفاقيات، ففي سنة 1965 أقرت الجمعية العامة الاتفاقية الدولية بشأن القضاء على جميع أشكال التمييز إزاء المرأة التي بدأ توقيعها في سنة 1980، فهي ترمي إلى الكفاح ضد جميع أنواع التمييز التي تتعرض لها النساء، وفي سنة 1984 تم إقرار اتفاقية منع التعذيب والعقوبات والمعاملات القاسية الأخرى وتلتها اتفاقية حول حقوق الطفل في سنة 1989.

وقد وردت هذه الاتفاقيات ضمن العمل على توحيد الجماعة الدولية. إن مفهوم حقوق الإنسان يعمل على إزالة الحدود، وقادة الدول التي تتحمل أعظم المسؤوليات في قيادة شؤون العالم.

خامسا: المجابهة بين الواقع والعولمة والإسلام:

ليست المسألة إعلانات حقوق الإنسان باعتبار أن الدولة القوية لاتحترمه ولا تعتد به أصلا باعتبار أنها لم تحترم عدم اللجوء إلى التهديد باستخدام القوة بحيث لجأت إليه ضد العراق رغم معارضة الأمم المتحدة وأغلبية أعضاء مجلس الأمن، كما أنها لم تحترم حرمة الحدود، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية بحيث أنها احتلت العراق بالقوة وقضت على نظام قائم. وأمام هذه المجابهة وما أنتجه الفكر الغربي فقد جاء الإعلان الإسلامي العام لحقوق الإنسان (17) وتمثل حقوق الإنسان في الإسلام قناعة راسخة بعمق أن الله وحده هو صاحب الشريعة ومصدر كل الحقوق ولا يمكن لأي حاكم أو جمعية أو سلطة أن تنتقص أو تنتهك حقوق الإنسان التي منحها الله، ولا يوجد أي أحد يساوم عليها. ويقوم هذا النظام على القرآن والسنة، والقرآن هو العلم الفعال في المجتمع بما أنه يصنع نفسه بنفسه من خلال الحركة الحقيقية التي تتيح بفعل البشر، للإنسانية بأسرها وللذات الإنسانية أن تستعيد كينونتها الأصلية .. كما أنه يمكننا القول أن هناك سوابق لحقوق الإنسان التي ظهرت عام 1789 هناك نصوص أولية جذرت حقوق الإنسان[1] ولهذا يجب العمل لفتح « المجال لولادة نظام فكري عربي وإسلامي جديد، هذا النظام الجديد هو الذي نسعى إليه الآن بكل قلوبنا» (19) لكي يقف أمام العولمة الغربية المتوحشة.

الفصل الثالث: العولمة والبنك الدولي وصندوق النقد ومنظمة الجات العالمية.

أولا: العولمة والبنك الدولي (20).

نحاول التعرض إلى البنك الدولي باعتباره من الأدوات التي لجأت إليه العولمة للسيطرة على اقتصاديات الدول النامية:

يركز البنك الدولي على أن العولمة عملية لا مفر منها وأن التكيف مع هذا النشاط ممكن لدول العالم الثالث. ويعتبر صندوق النقد الدولي في تقريره سنة 1997 حول الوضع الاقتصادي العالمي:

أن الدول التي فتحت أبوابها واقتصادها لقوى العولمة استفادت كثيرا ويرفض الادعاءات القائلة بأن العولمة مسئولة عن خسارة الوظائف.

كما يقول رئيس البنك الدولي: إن المعونة الأجنبية توفر سوقا عاجلا وأساسيا للبضائع الأمريكية.

ويوجد المقر الرئيسي للبنك في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية وتتمتع الولايات المتحدة وبقية الدول الرأسمالية عموما بقوة تصويتية مهيمنة، تجعلها قادرة على وضع وتنفيذ السياسات التي تتماشى ومصالحها (21). كما تهيمن الولايات المتحدة على سياسة البنك الدولي، وتفرض شروطا قاسية على أي قروض تطلبها الدول النامية، وعجز الكثير منها عن دفع خدمات الدين، وربما هذه القيود الصعبة هي التي عصفت بالنمور الآسيوية فالقروض التي طالب بها فجأة الرأسماليون المكلفون من قبل

الدولة وبالعملة الصعبة جعلت الرصيد في البنوك المركزية الآسيوية صفرا مما دعا إلى التدهور السريع في عملاتها المحلية. (22)

كما أن القروض الذي يقدمها البنك الدولي لتركيا هي قروض مشبوهة وهي تهدف إلى التضييق على المنطقة العربية من أجل التحكم في المياه وحجبها عن الدول العربية وذلك بإقامة السدود الضخمة على نهري دجلة والفرات.

ثانيا: العولمة وصندوق النقد الدولي: (23) Fond Monétaire International

تأسس هذا الصندوق سنة 1944 كجهاز متخصص تابع للأمم المتحدة بهدف دعم وتقوية التعاون الدولي بين الدول في المجال النقدي أو المالي.

إن السياسة النقدية قبل عام 1944 كانت من صميم اختصاص الدول ذات السيادة وبالتالي فإن تأسيس صندوق النقد الدولي عام 1944 غير الظروف الدولية من مرحلة سيادة الدولة في مجال السياسة النقدية إلى مرحلة النظام النقدي الدولي واستقراره. (24)

ومن الشروط التي يفرضها صندوق النقد الدولي على الدول الأعضاء التي تستعمل موارده ما يلي:

1 ـ تحديد الأسعار بناء على قوة الطلب والعرض، وبالتالي عدم فرض أي أسعار من قبل الدولة على نظام الأسعار السائد.

2 ـ رفع معدل أسعار الفائدة.

3 ـ خفض معدل الضرائب لتشجيع الاستثمار المحلي والأجنبي.

4 ـ خفض نفقات الدولة، لاسيما النفقات العسكرية.

5 ـ الأخذ بمبدأ حرية التجارة والتنافس التجاري.

6 ـ رفع أسعار النفط المستهلك محليا.

7 ـ رفع الدعم عن السلع الأساسية.

غير أنه مما يلاحظ أن وصفات البنك وصندوق النقد الدوليين جلبت البؤس والشقاء والبطالة لجماهير العالم الثالث، ويعتقد ساسة العالم الثالث أن بإتباع هذه الوصفات سوف يطورون اقتصاد بلادهم وجذب المستثمرين الأجانب، وتنمية الصادرات والمنافسة في الأسواق العالمية، وتشجيع القطاع الخاص وتصفية القطاع العام بدعوى عدم كفاءته، وقد أدت هذه السياسة إلى انفتاح الأسواق العربية على تجارة مواد الاستهلاك المصنوعة في مصانع أجنبية، ونمو صناعات خفيفة مثل المناديل المعطرة والمواد الغذائية كصناعة الطماطم وصناعة الألبان وتجارة المطاعم بفروعها الأجنبية مثل «الماكدونالدز» أو «الكينتاكي» وتجارة المضاربة في العقارات وانتشار التجارة في العملة الصعبة على حساب العملة المحلية وازدياد استهلاك بضائع الترفيه ونتيجة لذلك تراجع نمو الزراعة والصناعة.

إن العديد من التحديات التي تفرضها العولمة على الشعوب تكون متشابكة فشروط صندوق النقد الدولي لها في بعض الدول انعكاسات المجتمع والصحة، إذ ظهر مرض الكوليرا في البيرو بسبب شروط الصندوق التي التزمت الحكومة بها ورفعت أسعار مياه الشرب النقية فلجأ الأهالي إلى المياه غير النقية مما أدى إلى انتشار هذا المرض الخطير.

ثالثا: الجات والعولمة:

الاتفاقية العامة للتعريفة والتجارة مختصرها (GATT)، فالجات عبارة عن تنظيم دولي يسعى إلى تطوير التجارة بين أعضائه، عن طريق عقد لقاءات منتظمة يتم فيها مناقشة الاختلاف والاتفاق المتعلق بتخفيض التعريفة الجمركية وأي عقبات تجارية أخرى (25) ومن إنجازات الجات إقرارها لنظام عام للمفاضلة Système général de préférence تعطي بموجبه الدول المتقدمة مزايا للدول النامية التي تطالب برفع القيود الجمركية على صادراتها من المواد الأولية، وتقوم الجات حاليا بجملة من المهام يمكن تلخيصها فيما يلي: (26)

1 ـ التشاور أو التفاوض على تخفيض التعريفات الجمركية وغيرها من القيود التجارية.

2 ـ العمل على تطوير سياسات تجارية جديدة تتماشى والتطور في العلاقات التجارية الدولية.

3 ـ فض المنازعات التجارية بين أعضاء الجات وتطوير قواعد السياسة التجارية.

غير أن مصالح الدول النامية لم تراع من قبل الدول المتقدمة باعتبار مثلا أن الدول الصناعية لم توافق في جولة طوكيو لعام 1979 على إلغاء التعريفة الجمركية على السلع الأولية المصدرة من دول الجنوب. (27)

إن العولمة تفسر في هذا المقام بأنها الحركة النشطة والمتسارعة للمبادلات العالمية (المالية، التجارية، والمعلوماتية) وتستمد مفاهيمها من الإطار النظري لمفهوم التجارة الدولية التي وضعت أسسها لعام 1947 اتفاقية «الجات» التي تنص على أن تقوم كل دولة من دول العالم بإنتاج وتصدير السلعة التي تتمتع

في إنتاجها بميزة نسبية، أي تكون كلفتها أقل وجودتها أرفع من إنتاج غيرها من الدول، هذه السلعة تصبح عالمية بالتبادل لتحقيق « الرفاهية» العالمية.

لقد اعترفت الجات في التسعينات بالسوق العربية المشتركة باعتبارها منظمة للتجارة الحرة تقوم في النهاية على إنشاء أول اتحاد جمركي عربي، وأن تتقوى فيما بينها لتشكل تكتلا اقتصاديا وتجاريا يمنحها موقعا قويا في مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية(28) ، إن اقتصاديات الدول العربية تمثل إذا اتفق العرب على إلغاء الحواجز الجمركية أملا يرجوه كل عربي غير أن مصالح الدول المتقدمة «قد يعيق على الدوام بلدان الجنوب ويزيد الشرخ الرقمي اتساعا» (29).

الفصل الرابع: مؤتمرات العولمة والهيمنة الأمريكية.

أولا: مؤتمر سياتل.

تنادي منطقة التجارة الدولية بمبادئ اقتصاد السوق وإزالتها للعوائق التي تحد من حركة الاقتصاد العالمي، فمنظمة التجارة العالمية تعتبر التجارة أداة لتعزيز السلام وتبادل الثقافات بين الدول.

وعلى هذا الأساس تم عقد مؤتمر سياتل في 11/30 ولغاية 1999/12/03م في الولايات المتحدة الأمريكية تتويجا للاتفاق الأمريكي الصيني.

وقد واجه مؤتمر سياتل تحديات كبيرة تتمثل أساسا بتوفير حركة كاملة لاقتصاد السوق في دول الشمال، وتوفير المحافظة على الموازنة بين المصالح الأمريكية والأوروبية.

ففي سياق العلاقات الأمريكية الأوروبية تتهم أوروبا أمريكا بالسيطرة والمحافظة على مصالحها، ويوجد خلاف حول سياسة الحماية الزراعية وتهم متبادلة بين الطرفين عن هذه المسألة والمنافسة الحادة ستبقى الميزة لأجواء الاقتصاد العالمي، كما أن دول الشمال تصر على سياسة وحماية صناعتها وتقديم المساعدات فيما يتعلق بالمجال الفلاحي وتحث على رفعها فيما يتعلق بدول الجنوب.» (30)

وفيما يتعلق بالعلاقات الصينية الأمريكية، كانت الولايات المتحدة ترفض دخول الصين في المنظمة من أجل الضغط عليها لفتح أسواقها أمام الصادرات الأمريكية، وعندما عقدت اتفاقها مع الصين في 15-11-1999، باتت ترحب بدخول الصين، بل تعتبر أن المنظمة لن تكسب الصفة العالمية إلا بدخول الصين إليها. (32) وأن الدول الأوروبية اعترضت هذا الإجراء لأنها لم تستفد منه، ولعل المفارقة أن شعارات الغرب المتعلقة بحقوق الإنسان وديمقراطية النظام تتبخر كلها لدى ظهور المصالح وبلورتها، ولعل «إسرائيل» هي الدولة الأكثر استفادة.

وفي سياق العلاقات الأمريكية الخليجية، تفرض الولايات المتحدة شروطا مسبقة على بعض دول الخليج (كالخفض الجمركي والتملك للأجانب والتداول بالأسهم الخ ...) من أجل دعم طلبها لدخول منظمة التجارة العالمية.

وقد قامت مظاهرات عنيفة في سياتل، وكشفوا النقاب عن سلبيات العولمة ومخاطرها، فالشعوب في العالم الغربي بدأت تتحسس أضرار العولمة ومخاطرها.

ثانيا: العولمة ومنتدى دافوس بسويسرا لعام 2000.

ناقش الذين حضروا منتدى منتجع «دافوس» بسويسرا على جدول الأعمال قضية العولمة (32)، وأدرك القائمون على تنظيم المنتدى الاقتصادي التوجس الذي يحيط بالعولمة خاصة بعد المظاهرات العنيفة التي شهدها اجتماع منظمة التجارة الدولية في سياتل بأمريكا في ديسمبر 1999، وقاموا بدعوة منظمات غير حكومية إلى دافوس لعرض آرائها والمشاركة في المباحثات، غير أن تلك المنظمات أوضحت بما لا يقبل الشك أنها لا تثق بالمداولات في دافوس وبالعولمة، فقد قال شيفافندانا، مدير المؤسسة البحثية للعلوم، وهي مجموعة هندية تهتم بالشوؤن البيئية بوضوح: إننا نرى أن هذا المنتدى عاجز، عن تقدير تبعات بعض القرارات التي تتخذ فيه. وقد قال مارتين خور، مدير شبكة العالم الثالث ومقرها في ماليزيا أن كلينتون وتوني بلير ومدير منظمة التجارة العالمية مايك مور: يسعون إلى بث فكرة أن العولمة لا مفر منها، وقال «خور» هذا ليس صحيحا وتعهد بمواصلة المنظمات غير الحكومية معارضة أي مفاوضات تجارية أخرى في إطار منظمة التجارة العالمية لحين مراجعة الاتفاقات الحالية التي تضر بالبلدان النامية (33) غير أن رئيس حكومة جنوب إفريقيا «ثابومبيكي» لم يتفق وآراء المنظمات غير الحكومية بشأن «دافوس» حيث قال للصحفيين وهو يخرج من المنتدى بانطباع أن الزعماء التجاريين العالميين بدون حساسية بشكل متزايد اتجاه مسألة الفجوة بين البلدان المتقدمة والنامية، وأشاد بالخطاب الذي ألقاه « كلينتون» الرئيس الأمريكي باعتبار أن العولمة تتجاوز القضايا الاقتصادية إلى قضايا التنمية البشرية، وقد طالب دول الجنوب من دول الشمال أن تبدي تفهما لمشاكل التنمية في دول الجنوب.

ثالثا: العولمة والدول العربية:

لكي تخرج الدول العربية من أزمة العولمة يجب أن يسود التفاهم بينها، وأن يسود الوئام والسلام بين شعوبها، وهذا يمكن بتطبيق العدالة الاجتماعية عن طريق الديمقراطية في اختيار النواب للبرلمان وتنمية التعليم بجميع فروعه

التكنولوجية وتطويرها للإسهام في ركب التقدم: فعلى سبيل المثال يمكن أن نعتد بالهندسة الجينية والتكنولوجية الحيوية المطبقة على الطب العقلي والأمراض النباتية وعلى الأنواع والأجناس الجديدة تفتح أفاقا أمام تكثيف الفلاحة والتجارة والتربية الحيوانية على أوسع نطاق (34) كما اقترح «كامديسي» ضرورة أن يتبع التزام المجتمع الدولي مجددا بالتعددية، إسقاط جميع الرسوم الجمركية على صادرات الدول نموا وخفض ديونها، باعتبار أن ذلك هو أفضل سبيل لاجتذاب الدول الأكثر فقرا لتأييد مفهوم العولمة. (35)

ومن المفروض أن الدول العربية تمتلك مبادئ الدين الإسلامي الذي أجرت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية دراسة عنه وميزته عن الرأسمالية والشيوعية: «إن التعاليم الإسلامية تختلف عن الرأسمالية لمعارضتها تراكم الثروات الفاحش، وتختلف عن الاشتراكية لأنها تحافظ على حقوق التملك لوسائل الإنتاج، ففي مجتمع حقيقي يتبع تعاليم الإسلام يجب ألا تتعارض مصالح طبقات المجتمع، بل يجب أن تتعايش بالتواصل والتراحم عبر المشاركة المسؤولة الواعية، كما يجب مراعاة حقوق الفرد ولكن بطريقة عادلة تتوازن مع مصلحة المجتمع بأكمله» (36). غير أن تعطيل باب الاجتهاد منذ قديم الزمان كان تعطيلا للعقل ودوره، أدى إلى اتساع الهوة بين مبادئ الفكر الإسلامي ووسائل العصر اللازمة لتطبيقه، كما أن الاستعمار الذي عانت منه الدول العربية جعلها تخضع لدول لا تؤمن بمبادئ الأخلاق بل تغلب المصالح» وقد تم وضع الخطط المفصلة للتدخل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط وأتبعت خلال عام 1980 بمبدأ «كارتر» الذي نص صراحة على اعتبار الولايات المتحدة النفط مادة حيوية ضرورية لأمن الولايات المتحدة. وأنها

ستستعمل الوسائل والطرق كافة بما في ذلك القوة العسكرية لضمان حرية الوصول إليه وضمان السعار التي تناسبها. كما أن سعر النفط هو أيضا من عناصر الأمن القومي الأمريكي(37) ، وللوصول إلى تحقيق هذه الأهداف المخطط لها منذ فترة تم إنشاء بما يسمى «بقوات التحالف» بقيادة أمريكا وبريطانيا للاستيلاء على آبار النفط في العراق بتاريخ 2003/03/19 باستخدام طائرات بي B52 وطائرات الشبح التي لا يمكن اكتشافها بالرادار وأنواع الأسلحة المتطورة التي توصل إليها التطور التكنولوجي الحديث الذي تملكه قوة تدمر كل من يقف حول مصالحها وتتدخل بحجة واهية نزع أسلحة دمار شامل غير موجودة أصلا وهكذا يبقى تضامن الدول الغربية مع دول عربية مجرد رياء، وإن الحرب التي بدأت في العراق هي حرب لا تنتهي، فمشكلة العراق ليست مشكلة صدام حسين باعتبار أن صدام قد أزيح هو ونظامه عن الحكم، إن استهداف الدول العربية هو من أجل قيام مبدأ الاستسلام للغرب، وإن كان الاستسلام بدأ منذ مدة ليست بالقصيرة إنهم يريدون للعرب الاندثار، وإن احتلال العراق هو من نتائج العولمة، عولمة القهر للشعوب العربية.

الخاتمة

أود أن أشير أن العراق وحده واجه قوة عسكرية وإعلامية ونفسية قامت بها أكبر قوتين تعرفهما المعمورة كما أنه واجه الخيانة من طرف أشقائه وأبنائه في الداخل، وأن صمود العراق في حربه معجزة لم تشهدها الإنسانية وخاصة وأن الطلعات التي قام بها طيران التحالف زادت عن 350 ألف طلعة خلال 20 يوما فقدت خلالها أرض العراق بمئات آلاف الأطنان من المتفجرات، إنها كارثة على مرأى من البشرية والدول العربية، إنها حرب العولمة حرب قضت على ما يسمى بأسطورة الشرعية الدولية.

إن النظام العالمي الجديد سيعرف هزات كبيرة، وإن الأمم المتحدة قد قذفت مشروعيتها ومصداقيتها والتزامها.

أما الجامعة العربية قد برهنت على شهادة وفاتها لأن وجودها كان مرتبط بإرادة من خطط لها من الغرب وبالتالي فإن مهمتها انتهت ويجب دفنها لكي لا يسمع صوتها.

وتظهر هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على مجلس الأمن والتدخل المعيب في شؤون الدول بالقوة كما حدث في العراق، وأصبح من آثار العولمة مجلس الأمن آلة مطيعة في يد أمريكا بموجبه تتدخل في إصدار القرارات باسم الشرعية الدولية تارة لحصار الشعوب مثل الشعب العراقي وتارة لنزع أسلحة الدمار الشامل يصدر مجلس الأمن قرارا بالتفتيش على أسلحة الدمار الشامل، تستخدمه أمريكا كذريعة لدخول العراق بالقوة واحتلاله دون الرجوع إلى مجلس الأمن.

كما أنه توجد مظاهر ثقافية تهدف إلى صياغة ثقافية عالمية الغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب وجعلها تتبع نمطا معينا يفقد هذه الشعوب هويتها وثقافتها، بل تعداه إلى طمس معالم الحضارة الإنسانية وتجريد المجتمعات من هويتها وتاريخها وآثارها وذلك عن طريق الاعتداء بالقوة على مقدرات هذه الشعوب الثقافية بالقوة ونهبها وسرقتها وتحويلها لطمس معالمها وتجريدها من مقوماتها.

غير أن هذه العولمة التي داست الأنظمة السياسية العربية،جاءت لتعيد الوعي للشعوب العربية.

وسيبقى متحف بغداد ليواصل مهمته للمحافظة على تراث وممتلكات البشرية، صامدا ضد العولمة والهيمنة الأمريكية.

---

* عميد كلية الحقوق – جامعة مسيلة سابقا/ الجزائر.

(1) السيد ياسين، في مفهوم العلومة – العرب والعولمة – بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الوحدة العربية، الطبعة الأولى، يونيو 1989 ص 23.

(2) أنتوني ماكغرو، تأصيل الدراسات الكونية، كامبريدج، انجلترا منشورات بلكويل 1992 ص 30 وما بعدها.

(3) جيمس روزناو، ديناميكية العولمة: نحو صياغة علمية – قراءات استراتيجية – القاهرة – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام عام 1977.

(4) السيد يسين، العولمة والعرب، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، يونيو 1998 ص 23 ما بعدها، الأستاذ/ بوخادة إسماعيل، فكرة النظام الدولي الجديد ومصالح دول العالم الثالث، جامعة البليدة، معهد الحقوق والعلوم الإدارية 24-26 ماي 1993 ص 102.

(5) جريدة الرأي الأردنية، الصادرة بتاريخ 30 أفريل 2003، محاضرة بمنتدى السياسات الاقتصادية .. الوضع الاقتصادي المحلي والإقليمي ص 14.

(6) جريدة الرأي الأردنية، الوضع الاقتصادي المحلي والإقليمي، محاضرة بمنتدى السياسات الاقتصادية، 30 أفريل 2003 ص 14.

(7) قتل عدد من الصحفيين أثناء دخول القوات الأمريكية لبغداد ومنهم صحفي قناة الجزيرة الشهيد – طارق ايوب – وصحفي أسباني.

(8) ناهد طلاس العجة، العولمة، محاولة في فهمها وتجسيدها، ترجمة هشام حداد، ص153.

(9) ناهد طلا العدة، العولمة، محاولة في فهمها وتجسيدها، ترجمة هشام حداد ص 165

(1) courrier de l'Unesco, p.18 et suiv, Zhilian Zhanj ; la chine :« cent ans après la liberté»

(10) تشتمل الماكنا كارتا (Magna Carta) على 63 مادة، تحوى من الأحكام ما يصون الحريات الأساسية من تصرفات الملكية واعتداءاتها على ممتلكاتهم، وتأمين حريات الكنيسة، والحرية الاقتصادية للتجار، وبإلغاء الضرائب المستحدثة، والتزام النزاهة والعدالة في القضاء والإدارة. (أنظر الدكتور أدمون رباط، الوسيط في القانون الدستوري العام، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين بيروت 1968 ص 116 وما بعدها).

(11) أدمون رباط، الوسيط في القانون الدستوري العام، مرجع سابق ص 125.

(12) ناهد طلاس العجة، العولمة: محاولة في فهمها وتجسيدها، مرجع سابق ص 161 وما بعدها.

(13) تمثل المستعمرات قبل إعلان استقلالها عن التاج البريطاني: فرجينيا (1776)، بنسلفانيا (1776)، ديلاويز (1776)، فيرمونت (1777)، ماساشوستس، (1780)، نيوها مبشاير (1783)، نيويورك، رود إيلاند، نيوجرسي، ماريلاند، نيوهامبشاير، نورث كارولينا، ساوث كارولينا، كنكتكت، جورجيا، (أنظر ناهد طلاس العجة، العولمة، محاولة ف فهمها وتجسيدها، ترجمة هشام حداد، مرجع سابق ص 162، الدكتور/أدمون رباط، الوسيط في القانون الدستوري العام، ص 432).

(14) جون لووك، فيلسوف إنجليزي، كان أبوه محاميا ونشأ على حب الحرية وظل متعلقا به ولادته سنة 1632 حتى توفي سنة 1704 وهو يعد من كبار ممثلي المذهب التجريبي في انجلترا ويعد من مؤسسي المذهب الحر وعنده الحرية الشخصية ليست هناك سيادة طبيعية لأحد على الآخر.

(15) مونتسكيو (1689 – 1755) هو ناقد اجتماعي ومفكر سياسي فرنسي صاحب كتاب «روح القوانين» الذي تعرض فيه إلى السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية وأن أي سلطة تعتدي على الأخرى تلقى حينئذ سلطة تقف في وجهها.

(16) تم إنشاء الإعلان الإسلامي العام لحقوق الإنسان بتحريض من المجلس الإسلامي الأوروبي وتم نشره في 19 أيلول 1981.

(17) محمد أركون، الفكر الإسلامي، ترجمة وتعليق هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1993 ص 314.

(18) مرجع سابق ص 321.

(19) إسماعيل العربي، التعاون الاقتصادي للتنمية في نطاق المنظمات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر – 1979 ص 261.

(20) الدكتور/ فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان 2002 ص 121.

(21) مرجع سابق ص 123.

(22) مجموعة أعمال الملتقى الدولي: النظام الدولي الجديد ومصالح دول العالم الثالث، جامعة البليدة، معهد الحقوق والعلوم الإدارية 24-26 ماي 1993 ص 115 وما بعدها.

(23) إسماعيل العربي، التعاون الاقتصادي للتنمية في نطاق المنظمات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر – 1979 ص 258.

(24) يعود أول لقاء للجات إلى ينة 1947 في مدينة جنيف بسويسرا، وكان الهدف من اللقاء جعل التنظيم كجهاز متخصص تابع للأمم المتحدة يهتم بتنسيق العلاقات التجارية وتشجيع حرية التجارة بين الدول.

(25) الدكتور/ فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، مرجع سابقن ص 134 وما بعدها.

(26) الدكتور فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، مرجع سابق ص 135؛ إسماعيل العربي، التعاون الاقتصادي للتنمية في نطاق المنظمات الدولية، مرجع سابق، ص114؛ وما بعدها.

(27) تشترك سبع دول عربية في منظمة التجارة العالمية هي: الكويت، المغرب، تونس، الإمارات العربية المتحدة، البحرين قطر، وموريتانيا ... وثلاث دول هي الجزائر، التي يدرس طلبها بشأن العضوية الكاملة السودان واليمن، وست دول بصفة عضو مراقب هي: المملكة العربية السعودية والأردن وتدرس الجات طلبات دول عربية لحصول على العضوية الكاملة هي سوريان لبنان،ليبيا.

(28) خطاب رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة افتتاح الأسبوع العلمي الوطني الثاني للجامعات، وهران يوم 12 أفريل 2003.

(29) الدكتور فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، مرجع سابق ص 139،

(30) الدكتور/ بلعلي عبد الجليل، السيادة والنظام الدولي الجديد، مجموعة أعمال الملتقى الدولي، النظام الدولي الجديد ومصالح دول العالم الثالث، جامعة البليدة 24-26 ماي 1993، ص 215.

(31) تم انعقاد مؤتمر « دافوس» بسويسرا للفترة الممتدة من 1/27 إلى 2000/2/1 وأشار المشاركون إلى محاولة تعريف العولمة.

(32) الدكتور/ فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، مرجع سابق ص 142.

(33) خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، بمناسبة افتتاح الأسبوع العلمي الوطني الثاني للجامعات وهران 12 أفريل 2003.

(34) اقتراح السيد ميشيل كامديسي، قضايا التجارة والتنمية، المؤتمر العاشر للتجارة والتنمية (انكتاد) التابع لأمم المتحدة، بانكوك بتايلاند من 12-19 فيفري 2000.

(35) عبد الحي زلوم، نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2000، 395.

(36) عبد الحي زلوم، مرجع سابق ص 192.